

زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية: دراسة اقتصادية وتاريخية

Olive cultivation in the ancient Maghreb during the Roman period: an economic and historical study

تاريخ النشر: 2025/06/11

تاريخ القبول: 2025/06/09

تاريخ الإرسال: 2024/12/29

عماد بونقاب¹¹ مخبر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع، جامعة باتنة-01، الجزائر،EMAIL: imad.bounnagab@univ-batna.dz

الملخص :

تعتبر الزراعة الشجرية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية العمود الفقري الذي كان يقوم عليه الاقتصاد عامة والزراعة خاصة، وذلك لتنوع المنتجات ووفرته، وانتشارها في مختلف أرجاء المنطقة، خاصة الزيتون. ونظرا لأهمية هذا الأخير فقد ارتأينا التطرق إليه من خلال هذا المقال، وذلك بهدف إبراز أقدمية شجرة الزيتون في بلاد المغرب القديم عكس ما كان يروجه، تبيان مجالات استعمال الزيتون خاصة في المجال الطبي، الغذائي، الصناعي، الترفيهي، التجاري... كيفية زراعتها ومناطق انتشارها. قصد دراسة هذا الموضوع فقد اعتمدنا على منهجين أساسيين هما الوصفي والاحصائي. أما نتائج الدراسة فتتمثل في: قدم زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم، بروز نوعين من أشجار الزيتون برية ومهجنة، انقسام مراحل الزراعة إلى: الأولى كان فيها الاهتمام قليل وبالتالي الانتاج لا يفي الاحتياجات، أما الثانية فكان الاهتمام أكبر وبالتالي الانتاج أكثر، تنوع مجالات استعمال الزيت بين الغذائية، التجارية، الصحية...

الكلمات المفتاحية: الزيتون؛ الزراعة؛ الزيت؛ بلاد المغرب القديم؛ روما.

المؤلف المرسل: عماد بونقاب، الإيميل: imad.bounnagab@univ-batna.dz

Abstract:

Arboriculture in the ancient Maghreb during the Roman period was the backbone of the economy in general and agriculture in particular, due to the diversity and abundance of products and their spread throughout the region, especially olives. Given the importance of the latter, we have chosen to address it through this article, with the aim of highlighting the importance of the olive tree in the ancient Maghreb, contrary to what was believed, and showing the areas of use of the olive, especially in the medical, food, industrial, recreational, commercial... How it is cultivated and the areas of its spread. In order to study this topic, we relied on two main approaches: descriptive and statistical.

The results of the study are as follows: The age of olive cultivation in the ancient Maghreb, the emergence of two types of olive trees, wild and hybrid, the stages of cultivation were divided into: The first was of little interest and therefore the production did not meet the needs, while the second was of greater interest and therefore the production was more, the diversity of the fields of use of oil between food, commercial, health..

Keywords: Olives; agriculture; oil; ancient Maghreb; Rome.

1. مقدمة:

تعتبر الزراعة القاعدة الأساسية التي تبنى عليها اقتصاديات الدول منذ القديم، وذلك لما توفره من مختلف المنتجات سواء الطبية، الحيوانية، الغذائية، هذا ما جعل المحتل الروماني يولي الأهمية الكبرى لهذا المجال في بلاد المغرب القديم خاصة الزراعة الشجرية والممثلة أساسا في الزيتون، حيث يعتبر هذا الأخير من أبرز المنتوجات الزراعية أهمية، وذلك لما توفره من منفعة كبيرة، وذلك بسبب تنوع مجالات استعماله، سواء الجانب الطبي، الغذائي، الضريبي، الترفيهي، التجميلي، أي أنه شمل كل شيء، ونظرا لأهمية الموضوع فقد عكفنا على دراسته من خلال هذا المقال المعنون ب: الزراعة الشجرية في

بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية-زراعة الزيتون أنموذجا-، وعليه نطرح الإشكالية التالية:

- هل لعب الرومان دورا في توسيع زراعة الزيتون، أم أنهم استغلوا زراعة قائمة؟ والأسئلة الفرعية تتمثل في:
- ما هو تاريخ شجرة الزيتون في بلاد المغرب القديم؟
- ما هي أنواعه؟ وفيما تتمثل مراحل تطويعه؟
- ما هي أسباب الاهتمام بزراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية؟

2. تاريخ الزيتون في بلاد المغرب القديم

نستهل هذا العنصر بقول الله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (القرآن الكريم، سورة النور، الآية 35)، فالله تعالى أكد على قدسية وقيمة هذه الشجرة المباركة، التي كانت وما زالت أكبر النعم في حياة الإنسان. ونظرا لتعدد استخداماتها في مختلف المجالات كالطب، الغذاء، الاستحمام، تغذية الحيوانات، الأخشاب والتي تعتبر أقوى الأنواع المستخدمة، الإضاءة... فقد اهتمت السلطات الرومانية خلال فترة احتلالها لبلاد المغرب القديم بهذه المادة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا العنصر خاصة بإنتاج الزيتون والزيت فقط.

نعود إلى تاريخ هذه الشجرة في بلاد المغرب القديم، حيث برزت جملة من الفرضيات التي تخوض في أصل شجرة الزيتون بالمنطقة، فهناك من يراها وافدة والبعض الآخر يعتبرها محلية، فمثلا نجد الباحث أسيريو يعتبر أن أصلها يعود إلى الجزء الشرقي من حوض البحر المتوسط وبالضبط الساحل الفينيقي والتي انتشرت هذه الشجرة من قبل الفينيقيين في بلاد المغرب القديم خلال الألف الثانية من قبل الميلاد، في حين يرى مازولاني Mazzolani أن أصلها يعود إلى جبال جنوب غرب آسيا.

أما هانريات كامبس Henriette Camps فتعتبر أصلها يعود إلى جزيرة كريت وإلى آسيا الصغرى، كما يرى سويوا أنها تعود إلى الحضارة المصرية وبالضبط خلال القرن 13 قبل الميلاد، خلال حكم رمسيس الثاني (Leroy, 1954, p287)، في حين يشير محمد العربي عقون أن أصلها محلي، وأن القرطاجيين عملوا على توسيع غرس وإنتاج هذه الشجرة قصد زيادة الاستغلال ليس إلا (عقون، 2008، ص 99)، معتبرا أن تاريخ ظهورها في حوض المتوسط يعود إلى 60 ألف سنة، أما تدجينها فيحدد بين 3800-3200 ق.م (كامبس، 2014، ص 57)، كما أكد على أصل الشجرة المحلي من خلال التسمية الأمازيغية تازبوش التي تعني الشتلة، وتازمورث تعني الشجرة، في حين أقر محمد الحبيب بشاري على محلية الشجرة باعتبار أن النوميديين قد عرفوا شجرة الزيتون البري، واستغلوا ثمارها في إنتاج نوع من الزيت الرديء منذ وقت مبكر، لكن بعد احتكاكهم بالفينيقيين والقرطاجيين والرومان استطاعوا من تطوير هذه الزراعة وتحكموا في مختلف التقنيات (بشاري، 2013، ص 269). ولأجل تحديد تاريخ وأصل هذه الشجرة يلجئ الباحثون إلى استخدام مجموعة من الطرق والتقنيات نذكر منها: كاربون 14 الذي يحدد عمر المواد العضوية، طريقة أخرى تتمثل في دراسة وتحليل الفحم الناتج عن حرق واستخدام خشب الزيتون، تقنية التعرف على حلقات الأشجار لتحديد عمرها، دراسة حبوب اللقاح المحفوظة، معاصر الزيتون المنتشرة في مختلف المناطق تعطي نظرة ولو بسيطة عن تاريخ هذه الزراعة (Camps, 1974, p21).

2. أنواع الزيتون في بلاد المغرب القديم

-استند الباحثون خلال تقسيمهم لزيتون بلاد المغرب القديم إلى مجموعة من المعايير المرتبطة أساسا باللون، المذاق، الغرض التجاري، ومن خلال هذا قسموا الزيتون إلى نوعان هما:

برية تنبت في البرية، دون تدخل للإنسان، إذ يكون إنتاجها قليل وطعمه حامض وغير جيد والثاني يسمى المهجن، هذا النوع يتم إدخال وسائل وتقنيات كالتلقيح، التطعيم، السقي... خاصة من أجل زرع فصيلة ونوع مغاير للزيتون البري، حيث تكون إنتاجيته أكبر ونموه أسرع، ويقسم بلين Pline الزيتون إلى أنواع عديدة حسب نوعية المنتج، إذ يقول: "...هناك الزيتون الأرجواني، وهناك الأنواع الرائعة كالزيت الحلو...والزيت الناعم، تكون رائحته قوية..." (Plin, 1962, XV, V)، أي قسمه حسب المذاق واللون فذكر ثلاثة

أصناف زيت ذو لون أرجواني، زيت حلو، زيت ناعم، أما مرسوم ديوكليتيانوس Diocletianus فقد قسم الزيت إلى ثلاثة أنواع وذلك حسب المذاق والتمن، أولها ما يسمى بoleum flos، وهو أجود أنواعها ثمنه 40 دونيبي، أما الثاني فهو oleum sequens ويساوي 24 دونيبي، والثالث oleum acerbum، يقدر ثمنه ب12 دوني وهو أخرس أنواع الزيت، بينما يحدد شيشرون Cicero نوعين من الزيتون وذلك حسب الفصول، فزيت الصيف أطلق عليه اسم oleum acerbum، أما النوع الثاني فهو زيت الخريف ويسمى oleum viridem (بلكامل، 2003، ص 134).

3. مراحل زراعة الزيتون ببلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

أما فيما يخص زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية فنقسمها إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: تمتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول ميلادي، عرفت بإهمال هذا المنتج من قبل السلطات الرومانية وعدم العناية به، كما سيطر عليه الزيتون البري الذي عرف بمردوديته القليلة، ونسب إلى السكان المحليين الفضل في العناية بهذا المنتج وذلك قصد استخدامه في أطايرهم المعيشي، كما حاربت روما هذا النوع من المنتجات بسبب حاجتها للقمح والرغبة في استصلاح الأراضي الزراعية لزراعة القمح، فأطلق على هذه المرحلة **قرن القمح**.

وما يدل على هذا المرسوم الصادر من الإمبراطور دوميتيانوس Domitianus (81-96 م) القاضي بإلغاء ومنع غرس الأشجار (بلكامل، 2003، ص 135)، لكن ما تفسر تلك الضريبة التي فرضها مجلس الشيوخ الروماني على بلاد المغرب القديم؟، وذلك خلال منتصف القرن الأول قبل الميلاد أي حوالي 46 ق. م على سكان لبدة والمقدرة ب3 ملايين رطل من الزيت كضريبة سنوية، وذلك وفقا لما ورد في مصدر حرب إفريقيا يوليوس قيصر (Julius Caesar)، إذ يقول: "...سكان لبدة الذين كان يوبا Yuba في السنوات السابقة قد نهب أملاكهم، والذين استجاب مجلس الشيوخ لشكاويهم بإرسال سفارة أعادت لهم حقوقهم، فرضت عليهم غرامة 3 ملايين رطل من الزيت سنويا..." (قيصر، 2014، XC VII، ص 99)، هذا في مدينة لبدة فقط فما بالكم بباقي المناطق، هذا إن دل على شيء فإنه دليل على تزييف الحقائق التاريخية فيما يخص تاريخ المنطقة.

المرحلة الثانية: بعد القرن الثاني ميلادي اهتمت السلطات الرومانية بزراعة أشجار الزيتون في بلاد المغرب القديم، حيث أطلق عليه تسمية قرن الزيتون والكروم، إذ عملت السلطات الرومانية على تشجيع هذه الشجرة لما لها من أهمية كبرى في مختلف المجالات سواء الزراعية، الصناعية، التجارية، الصحية، الدينية، الاجتماعية... إذ سيصبح الزيتون المادة الأساسية بعد القمح والثورة الرئيسية في ازدهار إفريقيا لتليها الكروم، إذ أطلق على هذه المنتجات (أي القمح، الزيتون، الكروم) ثالث البحر المتوسط وذلك لشهرتها الواسعة في الحوض (بلكامل، 2003، ص 136).

ومن المصادر التي تثبت كل ما قلناه:

-الأمفورات:

تعتبر الأمفورات أبرز المصادر المادية التي توجي بصناعة الزيت بالمنطقة، كما تدل أيضا إلى الاستغلال المكثف واللاعقلاني للثروات التي تتميز بها بلاد المغرب القديم خلال هذه الفترة، حيث تشير المراجع التاريخية إلى العثور على العديد من النقوش والطوابع الموجودة على أمفورات، تدل على أماكن صناعتها كإفريقية (Yahiaoui, 2003, p64). كما تعتبر دراسة وتصنيف الأمفورات عاملا أساسيا في معرفة أماكن صنعها، المواد التي تتشكل منها، تسلسلها الزمني، وحتى المواد التي كانت تنقلها (Alaïoud, 2016, p47). كذلك تم العثور على مجموعة من الأمفورات في مناطق مختلفة من بلاد المغرب القديم، منها مجموعة تحمل كل واحدة منها 70 كلغ خاصة بنقل الزيت إلى القوات المرابطة في الراين (Yahiaoui, 2003, p70) (هذا يدل على أن الزيت الإفريقي لم يكن استخدامه محلي فقط بل وصل إلى مختلف المناطق في حوض البحر المتوسط)، ويرى كارانديني Carandini أن غالبية الأمفورات الرومانية التي عثر عليها خارج إفريقيا كانت تستعمل لنقل الزيت، كما تم إيجاد العديد من المعامل الخاصة بصناعة الأمفورات (كموريطانيا الطنجية، ورشة وادي مجردة بتونس، طرابلس، لبتييس ماغنا...)، ومن خلال مجهودات الباحثين تم إيجاد على تلة من حطام الأمفورات بالقرب من ميناء أوستيا Ostia (ميناء إيطالي)، وبعد تحليلها أقروا بأن نصفها إفريقي (Nhobson, 2012, p297)، وذلك اعتمادا على مختلف النقوش والطوابع التي أكد الباحثين على أنها إفريقية لكن ما تم نقله فيها لم يحدد بعد.

ولا بد من الإشارة إلى الأهمية الكبيرة للأمفورات باعتبارها أبرز مصدر مادي يمكننا بواسطته التعرف على صناعة الزيت واستغلاله في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، فقد قام الباحث دريسيل Dressel بوضع جدول لتصنيف الأمفورات وذلك خلال القرن التاسع عشر، هدفه تسهيل عملية البحث وإعطاء المؤرخين والأركيولوجيين دافعا جديدا لمعرفة خبايا هذه المصادر المهمة (Pujol, 2006, p64).

-مصانع الزيت:

قبل التطرق إلى هذا العنصر لابد من الإشارة إلى أن المصانع تحتوي على مجموعة من اللواحق كالمعاصر، الطواحين، الأحواض، المخازن...، لذا يعتبر هذا المصدر المادي كثاني أهم المصادر التي تأكد على أن إنتاج الزيت في بلاد المغرب القديم مزدهرا وكثيفا، حيث قسم محمد العربي عقون المعاصر إلى 3 أقسام وهي:

منشأة صناعية: كخربة أعقوب (عقون، 2008، ص125) أبرز المعاصر المكتشفة، تبعد عن سطيف بـ 35 كلم، وبالضبط ببلدية عين الكبيرة، جنوب الولاية، أهم الأبحاث الأثرية التي اهتمت بدراسة هذا الموقع كانت سنة 1937م (Mehantel, 2015, p610)، لتصدر بعدها أبرز النتائج البحثية سنة 1941م على يد موني Meunier بمقال تحت عنوان "الزيتون الروماني في خربة أعقوب": (Meunier, 1941, p p 34,45) وتتكون من 21 مصطبة عصر وكل منها لها ثفالتان.

-معاصر حضرية: وجدت بكل من مدن البروقنصلية، كويكول (جميلة)، مادوروش،

وليلي...

-معاصر ريفية: ارتبطت هذه المعاصر بنمط حياة السكان أي الصناعة المعيشية

الاستهلاكية للفرد، حيث لا تخلوا أي منطقة بلاد المغرب القديم منها، إلا وعثر على هذا النوع من المعاصر التي ارتبطت بنمط حياة السكان (عقون، 2008، ص125).

-أما خديجة منصوري فقد قسمت هي أيضا المعاصر إلى 4 أنواع وهي:

-معاصر كبرى: تحت تسمية المعاصر الصناعية إذ تحتوي من 15 إلى 20 معصرة،

من بينها خربة أعقوب، تاوريوين، بوغني، سيدي حادوش، بحاندلا... تتميز بكبر حجمها، وتعدد الوسائل المستخدمة في عصر الزيت، بالإضافة إلى الإنتاج الوفير لها.

معاصر المدن: وهي القرية من المدن الحضارية أو تكون داخلها، من بينها معصرة حمام بوحنيقية، سور الجواب، تاكسبت، تيقزيرت، تكون متوسطة الحجم، إنتاج أقل من الأولى، ووسائلها مختلفة أيضا.

-معاصر الريف: كثيرة نذكر منها: الحيتان بعين الكبيرة، العبيد بشرشال، القلتا الزرقاء بسطيف تتميز بإرتباطها بنمط حياة السكان، ذو حجم صغير وقليلة الإنتاج، أغلب وسائل الإنتاج بدائية...

-المعاصر المحفورة في الصخر: أحصى جون بيار لابورت Jean Pierre Laporte حوالي 100 معصرة محفورة في الصخر، والتي تنتشر في الشريط الساحلي الممتد من رأس جينات إلى بجاية أشهرها تلك الواقعة بأزفون (منصوري، 1996/1995، ص ص 170.166).
-أما هانريات كامبس فابرير Henriette Camps Fabrer فهي أيضا قسمت المعاصر إلى 4 أنواع وهي:

-معاصر الترايبتوم وهي نوعان: ذات طاحونة دائرية كطاحونة مادوروش، وطاحونة بربرية السابقة للعهد الروماني لكن تم الاعتماد عليها فيها بعد كطاحونة فاس وبني فرح. النوع الثاني معاصر لولبية (كمعصرة فاس)، الثالث المزودة برحوية (calestan) كذلك الموجودة بأيت فرح، والنوع الرابع المسنودة إلى ركن (Pressoin à coins)، وتجدر الإشارة إلى أن العديد من هذه المعاصر لا زالت تعمل إلى يومنا هذا، إذ تشكل سلسلة اعتبرتها هانريات كامبس بأنها عبارة عن سلسلة متواصلة غير متقطعة في سلم التطور التقني (كامبس، 2014، ص ص 77.63).

-أما سيدي محمد العيوض فقد قسم مصانع صناعة الزيت إلى قسمين: مصانع خاصة نجدها في مساكن الأثرياء، وأخرى عامة تعتبر كمنشآت صناعية عمومية تابعة للدولة، كما أحصى حوالي 70 معصرة زيتون مقسمة كالتالي: 15 في طنجة، 16 في ليكسوس، 11 في باناسا، 2 في سالو....

الأدلة العلمية:

إن الباحث في علم التاريخ لا بد له من اللجوء إلى مختلف العلوم سواء كانت مساعدة، مفسرة أو محللة، حيث لجئ العديد من المؤرخين في دراسة قضية صناعة الزيت

في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية إلى الاعتماد على مختلف الأدلة العلمية التي تثبت أصالة وتنوع صناعة الزيت في المنطقة، نذكر منها: تحليل الفحم، ودراسة حبوب اللقاح، قصد معرفة أماكن زرعها ومصانع عصرها، أنواعها، والوسائل المستعملة في صناعة الزيت بالمنطقة، حيث من بين أبرز النتائج المستنتجة من هذه التحاليل والبحوث، هي انتشار زراعة وصناعة الزيتون في مختلف المناطق بالمنطقة سواء في الشرق والغرب في الشمال والجنوب، أي أنه حتى في الصحراء كانت هذه الصناعة موجودة وقد تصدت وقاومت كل الظروف الطبيعية الغير ملائمة من قلة المياه، قلة الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة، صعوبة المناخ وحرارة المنطقة.... عموما كان إنتاج الزيت بالصحراء لتحقيق الاكتفاء الذاتي فقط، دون وجود أدلة أخرى توجي إلى تصدير هذه المادة (Camps, Huille, 2000, p21)

-المصادر الأدبية:

كثيرة تلك المصادر الأدبية التي تشير إلى ازدهار وتطور وكمية الإنتاج الكبيرة للزيت ببلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية نذكر منها:

أ-مصدر يوليوس قيصر Julius Caesar (100-44 ق. م): جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني يقال إن له مؤلف سماه حرب إفريقيا يروي لنا هذا الكتاب الصراع والحرب الأهلية الرومانية الثانية والتي دارت أغلب معاركها في بلاد المغرب القديم، إذ أورد هذا المصدر مجموعة من المعلومات سواء السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، العسكرية.... حول المنطقة، وما يهمنا هنا، ما ذكره حول الزيت، حيث يشير إلى أنه قد تم فرض ضريبة على سكان لبدة والمقدرة ب3 ملايين رطل من الزيت سنويا، علما أن الرطل يساوي 500غرام، أي 1.5 مليون كلف هي مقدار الضريبة، حيث يقول في هذا الشأن: "...سكان لبدة الذين كان يوبا Yuba في السنوات السابقة قد نهب أملاكهم، والذين استجاب مجلس الشيوخ لشكاوهم بإرسال سفارة أعادت لهم حقوقهم، فرضت عليهم ثلاثة ملايين رطل من الزيت

سنويا" (قيصر، 2014، XCVII، ص99). وما يفهم من هذا أن إنتاج الزيت في لبدة كان مزدهرا، وكثيفا، هذا فيما يخص مدينة واحدة فما بالكم بكامل بلاد المغرب القديم.

ب- جوفينال Juvenal (ق1م-ق2م): يعتبر جوفينال من أبرز الشعراء اللاتينيين في القرنين الأول والثاني ميلادي، حيث عرف أسلوب شعره بالهجاء والذم، وقد ترك مجموعة شعرية مهمة جدا تعتبر الآن أبرز المصادر التاريخية لدراسة هذه الفترة، كما تطرق أيضا إلى مجموعة من المواضيع كإنتاج الزيت المغربي خلال تلك الفترة، إذ يقول في هذا الصدد: "كان يرش سمكة بزيت فينافرو (بلدة بإيطاليا) الوافر، أما القرنبيط الذابل الذي حمله إليك الشقي فلا يليق إلا بالمصباح، لأن الزيت الذي ينفع لك قنانيك هو الزيت الذي يرسله إلينا أبناء ميسيبسا على ظهر سفنهم ذات البروة الحادة..." (Juvenal, 1931 , V, V, p88) وما يفهم من هذا أن الزيت المغربي كان يصدر إلى روما، وأنه ذو نوعية جيدة، استعماله في الإضاءة، ويدل أيضا على تطور وتحقيق الاكتفاء الذاتي من هذه المادة، والتحول نحو التصدير.

ج- بلين Pliny (23-79م): فيلسوف طبيعي روماني، ومؤلفا للعديد من المؤلفات التاريخية التي تعتبر من أهم المصادر، خاصة كتابه التاريخ الطبيعي المتكون من 37 كتابا، تطرق إلى موضوع الزيت في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، وذلك نقلا عن عالم الزراعة القرطاجي ماغون، إذ أشار إلى وجود زراعة وإنتاج الزيتون في المنطقة خلال تلك الفترة، وذلك استنادا لقوله: "...هناك العديد من أشجار الزيتون التي تسمى أشجار الميل بعد وزن الزيت الذي تنتجه سنويا، فإن ماجو يصف مسافة زراعة الأشجار بخمسة وسبعون قدما في كل الاتجاهات..." (Plin, 1962, XVII, XIX). هذا دليل على انتشار وتنوع الزيتون بالمنطقة بالإضافة إلى دور العنصر المحلي في تطويرها، لكن نجده في مؤلف آخر يتناقض مع نفسه، يلغي ويرفض فكرة غرس وإنتاج الزيتون بالمنطقة استنادا لما أورده ferestella، وذلك بقوله: "...إن إيطاليا، إسبانيا وإفريقيا لم يكن لديها الزيتون إلى غاية

مجيء الرومان... (Plin, 1962, XV,I) هذه المقولة تثير في النفس العديد من التساؤلات، هل عمل بلين Pline على نقل ما يقال دون تحري أو بحث في صدق المعلومة أو مصدرها؟ أم أن مؤلفه كان ذو غاية تشويه وتزوير الحقائق التاريخية دون غيرها (أي الذاتية في التأليف)، أم أنه لم يزر المنطقة أبدا بل كان يكتب ما يسمع عنها فقط؟

د-لوكيوس أبوليوس Apuleius (124-180م): مؤلف وفيلسوف، محامي ومؤرخ مغربي، ولد بمداوروش بسوق أهراس له العديد من المؤلفات التي كانت إحدى أهم المصادر التاريخية التي يلجأ إليها الباحث في تاريخ بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية، من بينها مؤلف الأزاهير يذكر لنا في إحدى الفقرات استعمال الزيت بالطقوس الجنائزية بالمنطقة خلال هذه الفترة، حيث يقول في هذا الصدد: "...كانت أطراف الرجل المسكين مغطاة بالحنوط، وفمه محشو بالطيب الفواح، كان قد مسح بالزيت وجاهر للدفع به إلى المحرقة..." (أبوليوس، 1979، ص103). وما يفهم من هذا النص أن الزيت له أهمية كبيرة في استعماله في شتى المجالات سواء الغذائية، الطبية، الطقوس، الإنارة، الطبخ... حيث سنتطرق إلى هذه النقطة بالتفصيل فيما تبقى من هذا العنصر.

ه-القديس أوغيسطين (354-430م): كاتب وفيلسوف مسيحي من أصل نوميدي ولد بتاغست، سنة 354م، له العديد من المؤلفات أشهرها مدينة الإله واعترافات... في إحدى كتاباته تطرق إلى قضية إنتاج الزيت ببلاد المغرب القديم خلال القرن الرابع والخامس ميلادي، حيث أشار إلى وفرته وجودته، كما قام بمقارنته بالزيت الموجود في إيطاليا، إذ يقول في هذا الشأن "...هل لاحظت يا لوكنتيوس أنني أرى أن الإلهام يضيء لك عملك الليلي مثل خيرير هذه الساقية المتقطع... هذا تريغنتيوس هو الآخر ينال في ذات الغرفة يستيقظ في فراشه ولا نعلم عن ذلك شيئا، لأنه لا ضوء في إيطاليا ويفتقر إليه حتى الأثرياء (كامبس، 2014، ص88)"

4. أسباب اهتمام روما بزراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم.

كما قلنا سابقا فقد شجعت روما زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم، وذلك لعدة أسباب أبرزها:

موجات الجفاف التي عرفتها المنطقة في القرنين الأول والثاني ميلادي، غلاء هذه المادة وتنوع مجالات استعمالها، خصوبة التربة...تكلفة الإنتاج قليلة،...وفي هذا الصدد يقول كولوميل Columelle: "...إنه أقل تكلفة، في حين أنه يحتل المرتبة الأولى، فهو على الرغم من عدم اثماره بكيفية متتالية سنويا، إلا أنه لا يتطلب عملا كثيرا، ويكاد لا يحتاج إلى مصاريف، إذا كان غير مثقل بالأثمار، ويعوض الأموال المنفقة عليه بمحصوله الكثير" (شنيقي، 2012، ص ص 118، 123). وما يدل على هذا هو تلك التشريعات الخاصة بالإنتاج الفلاحي والتي ذكرناها سابقا سواء مرسوم مانكيانا، مرسوم هادريانا، قانون سبتيموس سيفيروس Septimius Severus...

هذه التشريعات شهدت على تنمية غرس الأشجار المثمرة خاصة الزيتون، حيث عملت السلطات الرومانية على تشجيع سياسة خاصة لغرس الزيتون في بلاد المغرب القديم أطلق عليها تسمية "الزيتنة"، من بين الأدلة أيضا هو زيادة معاصر الزيتون بصورة كبيرة، فنجد في سبيطلة (مدينة تقع في الوسط الغربي لتونس) ما بين 15 و20 معصرة تعود ما بين القرن 2-5 ميلادي، كذلك القصرين فعثر على 400 معصرة، في المدن الثلاث (أويا، لبتييس ماغنا-تسمى حاليا لبدة الكبرى-، صبراتة) تم جرد 1500 معصرة (عقون، 2008، ص 120)، في وليلي عثر على 70 معصرة، طنجة 15، ليكسوس Lixos 16 (إسمها الحالي مدينة العرائش)، باناسا Banassa 11 (سيدي علي بوجنون)، ساللا 2، 4 في لينوار، (Alaioud, 2016، p.46).

العثور على العديد من المستثمرات الفلاحية كالبساتين والحدائق التي كانت تختص بزراعة الأشجار، أهمها الزيتون، فمثلا: العثور على نقش يذكر لنا مالك لمزرعة تحتوي على 4000 شجرة أكثر من نصفها زيتون (Stone, 1998, p109)، كما تم العثور على مجموعة من البساتين الخاصة بالزيتون في مناطق مختلفة من بلاد المغرب القديم (Payre, 1981، p103)، كذلك ما جسده الفسيفساء من مظاهر مختلف الزيتون، من غرس، قطف،

نقل.... فمثلا نجد هناك فسيفساء شرشال، فسيفساء السيد يوليوس، فسيفساء عقلات عطا، فسيفساء حضر موت Hadrumetum (سوسة)¹...
هذا فيما يخص مناطق انتشار غرس الزيتون في بلاد المغرب القديم، يستند هذا التقسيم وفقا للمعاصر والطواحين التي عثر عليها في تلك المناطق بالإضافة إلى ما ذكرته المصادر التاريخية²، لذا نبرزها في الجدول التالي:

الجدول رقم 1 يمثل: جدول لمناطق انتشار الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية

المنطقة	الجهة
دوار قصيبة، هنشير بهية، قرطاج، طبرقة، باجة، سوق الخميس، واد زرقة، الكاف، قصيبة، هنشير قرقور، وادي بوقوس.	شمال بلاد المغرب القديم
بونة، قابس جزيرة راس بونة، حمام قربص، قرية، جبل فكرين، القيروان، جبل تروزة، الجم. سبايع، تموينة، المزاك. هضبة النمامشة، واد قشطان، واد لعرب، واد ملاقو، قرية الولجة، واد عبدي، واد القنطرة، جبل بلزمة، جبل بوطالب، جبل الحضنة، سيرتا، ستيفيس، كويكول، خربة يعقوب، لامبازيس، تيمقاد،	شرق بلاد المغرب القديم
سبيطلة، سهل فلتة، هنشير فرة، هنشير ودودة، هنشير بوسيف، القصير، هنشير القوصة، هنشير بوحية، هنشير القرعة، قفصة، تبسة، هضبة النمامشة، بير سقاون، هنشير البقر، هنشير	جنوب غرب بلاد المغرب القديم

¹ - للمزيد من المعلومات أنظر: بيضاوية ولكامل، المرجع السابق.

² - للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، أظر إلى: هانريات كامبس-فابري، المرجع السابق.

العساس، رابيدوم، توبوستو، بوحنيفة، بوماريا، تسالة، تيميسي، وليلي، فلانتيا باناسا،	
--	--

(كامبس، 2014)³.

ما يفهم من الجدول هو تنوع المناطق ما بين الساحل، والسهول، السهوب وحتى الصحراء، بالإضافة إلى أنه كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب نلاحظ تناقص المناطق التي تغرس فيها الزيتون، نفس الشيء بالنسبة لاتجاهنا من الشمال إلى الجنوب، الأمر الثالث هو تركيز هذه الزراعة في السهول الداخلية لبلاد المغرب القديم أكثر من غيرها من المناطق، وما يمكن استنتاجه من هذا الجدول هو أن الزيتون قد عرف انتشارا كبيرا في المنطقة مقارنة بباقي المقاطعات الأخرى وذلك نظرا لتوفر مجموعة الشروط الملائمة لتحقيق ازدهار هذه الشجرة من ماء، هواء، تربة، تطور الوسائل والتقنيات...

أما فيما يخص إنتاج هذه المادة فإن المصادر والمراجع التاريخية لم تذكر إلا المعلومات القليلة حول هذا الموضوع، إلا أنه يمكن استنتاج بعض المعلومات المهمة، فقد قدر متوسط الاستهلاك اليومي للفرد الواحد من الزيت في بلاد المغرب القديم بـ 0.06 لتر وإذا أردنا الحساب التقدير لهذه المادة فإنه نقوم بضرب عدد السكان بمتوسط الاستهلاك، فمثلا: سكان قرطاج كان عدد سكانها حوالي 60 ألف نسمة وبالتالي استهلاك هذه المدينة هو 3600 لتر يوميا، أما مدينة شرشال فعدد سكانها 40 ألف أي 2400 لتر يوميا، تبسة 7000 نسمة أي 420 لتر، توربوريسكو 6000 نسمة أي 360 لتر يوميا، هذا دون نسيان العبيد الذي كان يقدر بحوالي 20 بالمئة من مجموع السكان (وابل، 2020، ص 18)، كما برزت بعض الاحصائيات التي حددت عدد سكان بلاد المغرب القديم خلال القرن الثالث ميلادي بحوالي 11 مليون نسمة، وهناك من يرى أن عددهم حوالي 15 مليون نسمة موزعين

³ - للمزيد حول هذا الجدول أنظر: هانريات كومبس، المرجع السابق.

على النحو التالي: 2.5 مليون نسمة في البروقنصلية، 5 مليون في اقليم طرابلس، 2.5 مليون نسمة في نوميديا، 5 مليون نسمة في الموريطانييتين⁴.

5. أهمية زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم

-تعدد استعمالات الزيت بين الطبية، الطبخ، الغذائية، التجارية، الدينية، مختلف الأنشطة الرياضية والترفيهية، وهذا ما أكدته مختلف المصادر المادية والأدبية، فمثلا في المجال الديني فتشير معظم المصادر والمراجع التاريخية إلى كثرة استخدامه منذ القدم حتى مع تعدد الديانات والمعتقدات سواء الوثنية، اليهودية، المسيحية (أطلق عليها هذه التسمية نسبة لعيسى عليه السلام الذي كان يمسح بالزيت) إذ كان يستعمل في عديد من مراحل الحياة الروحية للفرد، كمسحة للموعوظين، مسحة ما بعد المعمودية، مسح الميت عند الموت (وهذا ما أشارنا إليه سابقا من خلال مصدر أبوليوس Apuleius الأزاهير، أنظر الصفحة السابقة)، كذلك كان يرمز الزيت للنقاوة والخصوبة، حيث يعتبر مادة مقدسة عند مختلف الأديان والمعتقدات (Camps, Huille, 2000 , pp 27-28).

كما يستعمل أيضا في المجال الطبي كالتجميل (أبو القاسم، 2016، ص200) بالإضافة إلى الاعتماد عليه كدواء للعلاج من مختلف الأمراض كالحروق، السعال، التقرحات... كذلك يعتبر كمعطر جيد للضم والضماد على الروائح الكريهة فيه، لكن بعد خلطه بالملح، ويصفي الوجه (عثمان، 2009، ص440). و يستعمل أيضا لعلاج اللدغات السامة للثعابين والعقارب، وفي هذا الصدد يقول جوفينال Juvenal: "...إنه الزيت... الذي يحمي من عضه الثعابين..." (Juvenal, 1931, p51)، كما يخلط ويستخلص منه الكثير من المواد التجميلية والطبية، التي كانت خير بديل لمختلف الأدوية التي كانت موجودة خلال تلك الفترة.

أما فيما يخص الجانب الغذائي فقد استعمل للأكل مباشرة، كما أستخدم لتمزيق الأسماك، للطبخ كونه مادة ممتازة للقلي، حيث تشير هانريات كامبس إلى أن الزيت أكثر

⁴ - تبقى هذه النقطة مجرد تكهنات ليس إلا، حيث هناك من يرى أن هذه الأرقام مبالغ فيها، لكن يرى

البعض أن عدد سكان بلاد المغرب القديم، خلال هذه الفترة هي أكثر بكثير مما تذكره المصادر التاريخية، مستندين في هذا على القبور التي عثر عليها، على المدن التي كانوا يعيشون فيها، على متخلف النقائش الأثرية، لذا برز جدل كبير حول هذه القضية بين المؤرخين

الأطعمة المستهلكة خلال تلك الفترة، إذ يغمس في الخبز والتين، ويستعمل في تحضير الطعام والخبز والفطائر (Camps, Huille, 2000, p28) ، وفي هذا الصدد يقول مارتيلال: "...هذا الزيتون الذي يأتيك من المعاصر يبدأ وينتهي كوجبة للطعام..." (Martial, 1933, p 100)، كما تستعمل للإضاءة أيضا حيث تم العثور على العديد من المصابيح الزيتية التي تدل على هذا الشأن⁵ بالإضافة إلى ما ذكره القديس أوغسطين Saint Augustin سابقا بعد مقارنته بين الإنارة في بلاد المغرب القديم والإنارة في روما (عد إلى ما قاله في الصفحة السابقة).

وأخيرا وليس آخرا المجال الترفيهي والرياضي، حيث استعمل في الحمامات كون مسامات الجلد في تلك الفترة مفتوحة وتسهل في عملية الامتصاص الجيد للزيت، أما في مجال المصارعة والمجادلة، فتدهن أجسام المصارعين والمجادلين لتكون لزجة وصعبة الإمساك بالخصوم، بالإضافة إلى عمله على تقوية العضلات وفي هذا الصدد يقول بلين Pline: "الزيت يدفي الجسم ويقيه من البرد ويخفض حرارة الرأس. والإغريق هم مخترعوا كل السيئات جعلوا منه مادة رفاهية، وعمموه في كل الأنشطة الرياضية والمعروف أن الجمبازيين يبيعون إلى 8000 سيسترس (هي عملة رومانية) ثمالة الزيت التي تبقى في جوار معلقة بجدران المرافق التي يزاولون بها أنشطتهم الرياضية" (كامبس، 2014، ص 89).

-تعتبر شجرة الزيتون من أكثر النباتات المقاومة للجفاف، حيث عرفت منطقة بلاد المغرب القديم موجات جفاف خاصة تلك في القرنين الأول والثاني ميلادي، بالإضافة إلى العائد المادي الذي كان يدر أموالا كبيرة على الخزينة الرومانية، سواء الجانب الجبائي، التجاري، والصناعي، بالإضافة إلى غلاء هذه المادة وتنوع مجالات استعمالها، خصوبة التربة... ، تكلفة الإنتاج قليلة... وفي هذا الصدد يقول كولوميل Columelle: "...إنه أقل تكلفة، في حين أنه يحتل المرتبة الأولى، فهو على الرغم من عدم اثماره بكيفية متتالية

⁵ -للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: الياسمين أقوني، المصابيح الزيتية المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة-دراسة وصفية تنميطية وتحليلية، مذكرة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010.

سنويا، إلا أنه لا يتطلب عملا كثيرا، ويكاد لا يحتاج إلى مصاريف، إذا كان غير مثقل بالأثمار، ويعوض الأموال المنفقة عليه بمحصوله الكثير"
4. خاتمة:

وما نستنتجه في الأخير من خلال هذا المقال المعنون ب: الزراعة الشجرية في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية- زراعة الزيتون أنموذجا- ما يلي:
-قدم زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم، حيث أشارت مختلف المصادر المادية والأدبية، إلى فترات قديمة جدا، لكن لم يصلوا إلى اتفاق حول أصلها هل هي دخيلة على المنطقة أم أنها أصلية.

-بروز نوعين من الزيتون، فالنوع الأول يتمثل في الزيتون البري الذي ينبت في الطبيعة دون تدخل الانسان أو الاعتناء به ويكون قليل الإنتاج، أما النوع الثاني فهو المهجن، حيث يتدخل الانسان فيه من ناحية التلقيح، والسقي وادخال مختلف الوسائل عليه، ويكون وفير الانتاج عكس الأول.

-انقسم مراحل زراعة الزيتون في بلاد المغرب القديم خلال الفترة الرومانية إلى مرحلتين: الأولى كانت قليلة الانتاج، يهتم بها الانسان المحلي، طغيان الزيتون البري، قليلة الانتشار، أم الثانية فهي العكس، حيث اهتمت به السلطات الرومانية، وثامت بسن القوانين التي تشجع على زراعة الزيتون، توفير الوسائل الضرورية لتطوير وتوسيع هذه الشعبة، تميزت بوفرة الانتاج، تنوع مجالات الاستعمال، تصديرها إلى خارج المنطقة.
-إن الأهمية الكبيرة التي يتميز بها الزيتون جعله محل إهتمام من قبل السلطات الرومانية في بلاد المغرب القديم، حيث تنوعت مجالات استعماله سواء المجال الغذائي، الصحي، التجميلي، الترفيه، التعبدية، الضريبي... ونظرا لكل هذه الأهمية فقد فرض الزيتون نفسه كمعادلة صعبة فيما يخص المجال الاقتصادي عامة والجانب الزراعي خاصة

5. قائمة المراجع:

المراجع

-العربية:

1- المؤلفات:

- القرآن الكريم، سورة النور، الآية 35. (بلا تاريخ).
- أبوليوس لوكيوس. (1979). *الأزاهير* (الإصدار 1ع، المجلد 1). (علي فهي خشيم، المترجمون) ليبيا: الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان.
- بلكامل بيضاوية. (2003). *مظاهر اقتصادية من خلال فسيقساء الشمال الافريقي* (المجلد ط1). الرباط، المغرب: مطبعة فيديبرانت.
- شنيقي محمد البشير. (2012). *نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال* (المجلد ط1). الأبيار، الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
- عقون محمد العربي. (2008). *الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي*. بن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- قيصر يوليوس. (2014). *حرب إفريقيا 46-47 ق. م.* (محمد الهادي حارش، المترجمون) الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- كامبس هانريات فابرر. (2014). *الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية* (المجلد ج1). (محمد العربي عقون، المترجمون) عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

2- الأطروحات:

- منصوري خديجة. (1996/1995). *التحولات الاقتصادية لموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني*. أطروحة دكتوراه الدولة، معهد التاريخ، جامعة وهران.

3- المقالات:

- مفتاح عبد ربه عثمان. (2009). *زراعة الزيتون في قورينائية في العصر الكلاسيكي*. مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، ع1.
- أبو القاسم عبد السلام عبد الحميد. (مارس، 2016)، أوضاع مدينة لبدة الكبرى خلال حكم الأسرة السيفيرية 192-235 م. *مجلة العلوم الإنسانية*، ع12.
- وابل أحمد. (سبتمبر، 2020). *نقيشة المحرر صابينوس وأهميتها في تاريخ مدينة عنابة* (هيو ريجيوس) خلال القرن الثالث الميلادي. *مجلة العصور الجديدة*، ع3.

4- المداخلات:



-بشاري محمد الحبيب. (2013). سياسة روما الزراعية في "الجزائر" القديمة (نوميديا وموريطانيا القيصرية). *المدينة والريف في الجزائر القديمة، أعمال الملتقى الوطني الأول، تنسيق بختة مقرانطة. معسكر.*
-الأجنبية:

1-المؤلفات:

-Juvenal. (1931). *Satires, Texte établi.* (P. De labriolle , & F. Villeneuve, Trads.) Paris.

-Martial. (1933). *Epigrammes* (éd. livres XII-XIV, Vol. T 2). (H. J. Izaac, Trad.) Paris: Les belles-lettres

Plin, I. (1962). *Histoire natural;texte établi.* (A. Eranté, Trad.) Paris: belles-lettres.

2-الأمروحات:

-Yahiaoui, N. (2003). Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienn. *sujet doctorat, Sciences de l'Homme et Société. Ecole pratique des hautes études - EPHE.* PARIS.

3-المقالات:

-Alaïoud, S. M. (2016). La production de l'huile dans le Maroc antique : le cas de Volubilis. *CIHEAM Options Méditerranéennes : Série A. Séminaires Méditerranéens, n 118.*

-Camps, H. F. (1974). L'olivier et son importance économique dans l'Afrique antique. *CIHEAM - Options Meditteraneennes.*

-Camps, H. F. (2000). Huille. *Encyclopédie berbère, n 23.*

-D M Stone. (1998) .Culture and Investment in the Rural Landscape: the North African bonus agricola .*Antiquités africaines.*

-Leroy, (. F. (1954). L'Olivier et l'Afrique romaine. *Journal d'agriculture traditionnelle et de botanique appliquée.*



- Mehantel, D. M. (2015). A propos de quelques découvertes fortuites à Ainekibira (Satafis). *L'africa romana*.
- Meunier, J. (1941). L'huilerie romaine de kherbet-Agoub. *Bulletin de la société historique et géographique de la région de sétif*.
- Nhobson, M. S. (2012). The african boom, Evaluating économic growth in the roman province of africa proconsulairis. *the Degee of doctorot philosophy, school of archaeology and ancient histor*. university of leicester.
- Payre, D. M. (1981). Recherches sur un aspect de la romanisation de l'Afrique du Nord: l'expansion de la citoyenneté romaine jusqu'à Hadrien. *Antiquités africaines*.
- Pujol, P. L. (2006). L'imporation de bétique en tingitine et l'exportation des salaisons de tingitane (I-III siècle après H-C). *Cahiers du centre Gustave glotz*.